

الأسطورة في الشعر العربي الحديث

قصيدة " الفتى والوحش " أنموذجا

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

المؤلف الأول : د. معاذ جميل الحيارى

البريد الإلكتروني: dr.moath@bau.edu.jo . جامعة الارتباط: قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية السلط للعلوم الإنسانية/ جامعة البلقاء التطبيقية

معلومات المقال	ملخص
تاريخ الاستلام 2025/07/26 تاريخ القبول 09/28: 2025	مثل توظيف الأسطورة أحد أبرز ملامح الشعر العربي الحديث، لا سيما في المنجز الشعري لشعراء التفعيلة كبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وأدونيس و خليل حاوي ومحمود درويش وغيرهم، ولأقوى هذا الملمح الأدبي اهتماما كبيرا عند النقاد والدارسين الذين حاولوا تتبع هذه الظاهرة في أصولها التاريخية وخلفياتها الفكرية ودوافعها الفنية، فضلا عن البحث في مستوى تأثيرها في الشعر العربي الحديث. ولعل ما يبدو واضحا لأي متتبع للتوظيف الأسطوري في الشعر العربي يلاحظ أن هذا التوظيف مرّ بمراحل حدّدت طبيعته وغاياته على مستوى الشكل والمضمون، إذ بدأ هذا التوظيف على نحو بسيط في محاولات لإثراء النصّ الشعري بمضامين أسطورية يمكن أن تعطي لهذا الشعر شكلا جديدا من الحداثة التي كان بعض الشعراء يسعون لتحقيقها في نصوصهم، وظهر هذا واضحا عند الشعراء الرومانسيين الذين حاولوا إحداث تغييرات جذرية على النصّ الشعري العربي، وثاروا على القصيدة الكلاسيكية، ووجودا في الأسطورة مرجعا غنيا يمكن أن يعينهم على ذلك. ثم تطوّر توظيف الأسطورة ونضج على نحو أكثر عند الشعراء اللاحقين، لا سيما شعراء التفعيلة الذين استفادوا من الأسطورة ووظفوها لغايات تخدم النصّ على نحو جوهريّ في مضمونه الفكرية العام.
كلمات مفتاحية: الأسطورة - الشعر العربي - الفتى والوحش	ويسعى هذا البحث إلى تتبع مراحل دخول الأسطورة في الشعر العربي على نحو مقتضب، ثم يحاول أن يقدم قراءة في أحد النصوص الشعرية وآلية اتكائها على النصّ الأسطوري خدمة للنصّ الشعري وآلية تشكّلها البنيوية، وتحقيقا للرؤى الفكرية التي شغلت الشاعر وحاول على إثرها الاتكاء على الأسطورة للتعبير عن هذه الرؤى، حيث وقع الاختيار على نصّ شعري عنوانه " الفتى والوحش " للشاعر الفلسطيني فهد أبو خضرة.

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

Abstract (in english)

Keywords:
Myth in
Modern
Arabic
Poetry: The
Poem "The
Boy and
the
Monster"
as a Case
Study

Legend employment has been one of the most important characteristics of the modern Arabic poetry, especially in the production of the free-verse poets like Bader Shaker Al-Sayaab, Abdel-Wahab Al- Bayati, Adonise, Khalil Hawi, Mahmood Darwish and others. This literary trait has been welcomed by the critic and researchers who tried to trace its historical origins, artistic motivations as well as studying its effect in the modern Arabic literature. It is clear for any researcher dealing with the integration of the legend in the modern Arabic poetry that this employment has gone through stages that has affected its nature and ends in both structure and content. The legend was initially employed in the attempts to enrich the poetic text with a content that might give this poetry a new form of modernism. This employment appears clearly in the production of the Romantic poets who tried to cause radical changes in the Arabic poetry by rejecting the classical form of the Qasidah. This group of poets found in the legend the source of the help needed. This use of the legend has developed and reached its maturity through the efforts of the latter poets especially the free-verse poets.

This paper aims to briefly trace the stages of the employment of the legend in the Arabic poetry and to provide a thorough reading of the poem "The Lad and the Beast" by the Palestinian poet Fahed Abu-Khadra, to show how it relies on the legend to depict certain views and thoughts.

مقدمة

يمثل توظيف الأسطورة في الشعر العربي الحديث واحدا من أبرز ملامح الحداثة الشعرية؛ إذ دخلت الأسطورة الشعر العربي في مرحلة مبكرة من القرن العشرين، حينما لجأ مجموعة من الشعراء إلى استلهاهم الأساطير وتوظيفها في أشعارهم بغية الوصول بنصوصهم إلى مرحلة جديدة من الإبداع -على مستويي الشكل والمضمون- يتجاوزون فيها النمط الكلاسيكي المباشر. وقد كان ذلك بتأثير شديد بالانفتاح المعرفي الذي تهيأ للعرب على الحضارة الأوروبية، وما رافقه من تأثير شديد بالآداب والعلوم الأوروبية، في الفترة التي اصطلاح دارسو التاريخ العربي الحديث على تسميتها عصر النهضة.

وإذا كان توظيف الأسطورة في الشعر يعدّ أحد ملامح الحداثة الشعرية، فإنّ ما يجب التنويه إليه في هذا السياق هو أنّ توظيف الأسطورة مرّ بمراحل مختلفة إلى أن استقرّ على نحو فنيّ ناضج عند مجموعة من الشعراء، لا سيّما شعراء التفعيلة، الذين وظفوا الأسطورة على نحو جديد استطاع أن يمدّ نصوصهم الشعرية بزخم خاصّ على مستوى المضمون، ويتنوّع تقني على مستوى الشكل. فقد أدرك هؤلاء الشعراء وظيفة الأسطورة وأهميتها في بناء النصّ الشعريّ ومنحه قيمة جمالية ودلالية يتّسع على إثرها أفق الخطاب الشعريّ؛ فيتوفّر على طاقة إيجابية وفق آليات لغوية تقوم على الاختلاف والمفارقة بين الواقع والنصّ.

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

تحاول هذه الدراسة أن تتبّع على نحو مقتضب طبيعة توظيف الأسطورة في الشعر العربي، وما رافق ذلك من إشكالات وتحوّلات، وصولاً إلى المرحلة التي صار فيها توظيف الأسطورة عملاً فنياً مكتمل المعالم، حيث سيمثّل ذلك الجانب النظري من هذه الدراسة، فيما سيكون الجانب التطبيقي مختصاً بتحليل نصّ شعري تحليلاً أسطورياً، وقد وقع الاختيار على نصّ عنوانه " الفتى والوحش " للشاعر الفلسطيني فهد أبو خضرة. أما مسوّغ هذا الاختيار فهو لكونه يمثّل نصّاً شعرياً من نتاج شاعر صاحب تجربة طويلة لم يلقَ التفاتاً كبيراً من النقاد والدارسين، ما يحقق لهذا البحث ضماناً عدم الوقوع في أسر تكرار النصوص والتجارب الشعرية التي درست سابقاً في إطار دراسة الأسطورة وتحليلها في الشعر العربي الحديث.

1- الأسطورة في الشعر العربي الحديث: مقارنة عامة

يمثّل عصر النهضة العربية مرجعيةً أساسية في فهم خصوصية الشعر العربي الحديث، إذ لا يمكن أن يتم التوفّر على معطيات هذا الشعر بشكل كامل دون الرجوع إلى الإشكالات الفكرية والحضارية التي شكّلت إطاراً مرجعياً عاماً تبلورت فيه طبيعة الفكر العربي في ذلك العصر. فالتغيرات التي أصابت الأدب العربي كانت تمثيلاً طبيعياً لعدد من التحولات التي طرأت على المنطقة العربية ابتداءً من الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام مروراً بما لحقها من عوامل أسهمت في تأكيد النزوع العربيّ نحو عصر جديد مختلف بمقوماته الفكرية وأساليبه وأنماط الحياة فيه عما كان سائداً إبّان الحكم العثماني، لا سيّما في فتراته الأخيرة. واستناداً إلى المراجع التي بحثت في الأدب العربي الحديث، فإنّ الرومانسية مثّلت أول حركة أدبية عربية حاولت الثورة والتمرد على شكل الشعر العربي القديم ومضمونه، وكان طبيعياً إزاء ذلك أن يبحث الشعراء الرومانسيون عن أدوات معرفية وتعبيرية جديدة يتوسّلون بها للخروج بنصوصهم من إطار الكلاسيكية إلى إطار أكثر حداثة وتعبيراً عن تفاعلهم مع العصر، فحاولوا الثورة على شكل القصيدة، وحاولوا البحث عن مضامين جديدة يمكن أن تدعم رؤاهم ومحاولاتهم هذه.

وفي هذا السياق مثّلت الأسطورة مجالاً رحباً للشعراء العرب، لا سيّما بعد اطلاعهم على عدد من الأساطير اليونانية التي رَوّوا فيها علماً خصباً يمكن أن يمدّهم بكلّ ما هو جديد ومختلف. ولعلّ أبرز ما يؤشر على هذا الاهتمام الذي أولاه الشعراء الرومانسيون للأسطورة هو أنّ واحدة من أشهر الحركات الرومانسية العربية، ممثلة بمدرسة أبولو، قد اتخذت لنفسها تسمية مستمدّة من الأساطير الإغريقية، إذ إنّها نسبت

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

نفسها لأبولو، أحد أهم الآلهة حضوراً في الميثولوجيا اليونانية والرومانية.¹ وعلى الرغم من ذلك الاهتمام الرومانسي بالأساطير فإنّ المتتبع لمعظم النماذج الرومانسية التي وظّفت الأسطورة يلمح بوضوح أنّ استثمار الأسطورة لم يتم، في الغالب، على نحو جوهري يخدم رؤية الشاعر ويثري نصّه. ولعل ذلك راجع إلى كون محاولات الرومانسيين هذه مثّلت بداية الالتفات إلى الأسطورة ومحاولة توظيفها في النصوص الشعرية في الأدب العربي الحديث؛ ولهذا جاءت أكثر المحاولات مقتصرة على نقل الأساطير في قوالب شعرية. ومن الأمثلة على ذلك تظهر قصيدة العقاد " فينوس على جثة أدونيس " التي ترجمها عن شكسبير، وقصيدة المازني " الراعي المعبود " التي ترجمها عن جيمي لويل وتكئ على أصل ميثولوجي يتمثل في قصة أورفيوس الذي كان يسلب العقول بعزفه. وكتب أبو شادي قصائد تتضمن قصصاً أسطورية أغريقية وفرنسية فكتب قصائد " أورفيوس ويورديس " و " هرقل وديانيره " و " أوزيريس والتابوت "، ونظم علي محمود طه في ديوانه " أرواح وأشباح " قصائد تتضمن قصصاً أسطورية إغريقية كأسطورة (هرميس) و (تاييس) و (سافو) و (أورفيوس).² والملاحظ أنّ كلّ هذه النصوص لا تستثمر الأسطورة على نحو بنيوي دلالي يخدم رؤية الشاعر ويثري نصّه وتجربته، بل تكتفي بالتعامل مع الأسطورة في فكرتها العامة وفق منطق قصصي محض. فعلى سبيل المثال حينما كتب المازني قصيدته " الراعي المعبود " لم يظهر اهتماماً واضحاً بالأصل الميثولوجي الذي تتوقّر عليه القصة، فهو مثلاً لم يشير إلى أنّ هذا الراعي هو أورفيوس، رغم أهمية هذه الإشارة في ذلك الوقت الذي كان الاطلاع العربي فيه على مثل هذه الأسماء محدوداً. إذ اكتفى المازني بالإشارة إلى القصة، وأنه ترمز للجمال والمحبة وسحر الصوت، دون أن يستفيد من الأسطورة وأبعادها الإيحائية والدلالية.³

ولعلّ واحدة من أكثر المحاولات الرومانسية نضجاً في الاتكاء على الأسطورة قصيدة أبي القاسم الشابي " نشيد الجبار " أو " هكذا غنى بروميثيوس " التي يبدو فيها الشابي واعياً معنى الحياة الإنسانية إزاء شرور العالم، فيحاول على إثر ذلك أن ينشد الخلاص استناداً إلى عناصر القوّة الكامنة في ذاته. وكما هو واضح فالقصيدة تحاول أن تستفيد من أسطورة " بروميثيوس " سارق النار، الذي تحدّى رغبات آلهة الاولمب لينقل نار المعرفة للبشر. والشابي، الذي كان يعاني بسبب شعوره بالغرابة في مجتمعه، أراد أن يستمدّ من بروميثيوس روحه وإصراره وشغفه بالمعرفة، يقول الشابي:

سَأَعِيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأَعْدَاءِ

¹ حول دور الشعراء الرومانسيين في توظيف الأسطورة في الشعر العربي الحديث ينظر: الفرغوري، فؤاد. أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، الدار العربية للكتاب، دت، ص 214-217، وحلاوي، يوسف. الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، دار الآداب، بيروت، 1994، ص 13-30.

² ينظر: بلحاج، كاملي. أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2004، ص 23 وما بعدها.

³ ينظر: بلحاج، أثر التراث الشعبي، ص 23.

كالنَّسَر فوق القِمَّةِ الشَّمَاءِ
أَرْزُو إِلَى الشَّمْسِ المَضِيَّةِ... هَارِثاً
بالسُّحْبِ، والأمطارِ، والأنواءِ
لا أرمقُ الظلَّ الكئيبَ... ولا أرى
ما في قرار الهَوَّةِ السوداء...
وأسيرُ في دُنْيَا المشاعرِ، حالمًا،
غرداً- وتلك سعادةُ الشعراءِ
أصغي لموسيقى الحياةِ، ووَخِيها
وأذيبُ رُوحَ الكونِ في إنشائي⁴

إنَّ الشَّابِّي في هذا النصِّ يقدِّم واحدة من أولى محاولات استلهاام المضمون الفكري الخاص بأسطورة بروميثيوس، ليتكئ عليه من أجل بناء نصّه على مستويي الشكل والمضمون، فبروميثيوس سارق نار الحكمة والمعرفة، الذي تلقى أقسى العقوبات لأنه تمرد على سلطة الآلهة، يبدو في إطار قضيته الإنسانية معادلاً موضوعياً، ليس للشابّي وحده، بل لكل إنسان يحاول أن يتمرد على المسلّمات، مختطاً لنفسه نجحاً بعيداً عما اعتاده الآخرون. فالشَّابِّي كان يمثّل القيم التي حملها بروميثيوس بتمرده ورفضه الخضوع، وهو ما جعله يشعر بغربة فكرية عن الشعب الذي كان يعيش في كنفه إبان الاحتلال الفرنسي لتونس، والذي يصفه محمد كرو في كتابه " كفاح الشَّابِّي " قائلاً:

" كان الشعب التونسي في ذلك الحين - أي بين سني 25-34 - مستسلماً لتقاليد متعقّنة تحجب عنه النور والحياة وكلّ إحساس بالكرامة المهانة والحال الدليل. وكان ثمة رجال رجعيون فرضوا أنفسهم على الشعب وعلى قيادته وتوجيهه باسم الدين، أي باسم الله، فحرّموا على الناس استخدام عقولهم، وحرّموا على الشعب السير في قافلة الإنسانية، قافلة التقدم والحضارة، وجعلوه يعتقد أن بؤسه وظلامه

⁴ الشَّابِّي، أبو القاسم. الأعمال الكاملة، ديوان أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984. ص 253.

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

وجهله ومذلتة إنما هي نعمة من الله، لأنه لو شاء لغيرها، ولو شاء ما قدرها، وكل شيء بقضاء الله وقدره، وثواب الله في الآخرة إنما هو لمن أذعن لهذا القضاء والقدر، أما عذاب جهنم فهو لكل من خالف هذه المشيئة.⁵ فبروميثيوس الذي كان يعي أنّ العذاب هو ضريبة اختلافه ورفضه، وإيمانه بفكر مختلف عما آمن به الآخرون، يمثل بعموم تجربته معادلاً موضوعياً وجد فيه الشابي إطاراً للتعبير عن تجربته الشخصية، فالمعادل الموضوعي حسب ت. س إليوت هو العمل الفني بوصفه خلقاً ناتجاً عن تحويل انفعالات الشاعر ونقلها على نحو غير مباشر، لا عملاً قائماً على عرض انفعالات الشاعر بشكل مباشر. فمشاعر المبدع هي المعين الذي يستقي منه الشاعر أفكاره وصوره وخيالاته⁶، والشاعر الحق هو الذي يعبر عن شخصيته تعبيراً غير مباشر، ويوظف سياقات مختلفة سواء أكانت أسطورية أم خرافية أم تاريخية خدمة لتجربته الشخصية. وقد مثلت الأسطورة أبرز ما توسل به إليوت لنقل مفاهيمه عن المعادل الموضوعي إلى الإطار التطبيقي، لا سيما في عمله الشعري الهام " الأرض اليباب " الذي ترك أثراً كبيراً في عدد كبير من الأدباء وفي كل الثقافات ومن ضمنهم الأدباء العرب، فقد اتكأ إليوت في تأليف قصيدته على مرجعيات أسطورية ودينية عميقة، مستعينا بكتابين كان لهما أكبر الأثر في بناء رؤيته الدرامية للنص الشعري هما كتاب "من الطقس إلى القصة الخيالية" لجسي وستون Jessie Weston، وكتاب "الغصن الذهبي" لجيمس فريزر James Frazer وهو أحد أشهر الكتب التي عرضت للأساطير القديمة، وتركت أثرها الهام جداً في أعمال إليوت وغيره من شعراء.

وليس هذا متسغرياً عن إليوت، لا سيما أنه صاحب المقولة التي أكد فيها أنّ "المنهج الأسطوري هو ببساطة طريقة للتحكم بتلك البانوراما الهائلة من العقم والفوضى التي هي التاريخ المعاصر، ولتنظيمها، وإعطائها شكلاً ودلالة"⁷

وقد استمرّ اهتمام الشعراء العرب بالأسطورة، وحضر عند الشعراء الذين تلوا المرحلة الرومانسية، وهو ما يمكن ملاحظته عند شعراء أمثال إلياس أبي شبكة، وصلاح لبكي على سبيل المثال، فقد انتقل الشعراء إلى مرحلة أكثر نضجاً في توظيف الرموز الأسطورية، حيث نجد أنهما تمكنا من الإفادة من الفكرة التي تتوفر عليها الأسطورة لخدمة رؤاهما، ولم يكتفيا بنقلها في قالب شعري. ويمكن تلمس ذلك في أعمال شعرية مثل أفاعي الفردوس لأبي شبكة التي لجأ فيها إلى القصص التوراتية ليعبر بالاتكاء عليها عن الرؤية التي شغلتها في الديوان كلّ وهي أن المرأة كائن مليء بالشر والفساد، محرّض على الخطيئة. يقول في مقطوعة بعنوان شمشون:

ملّقيه بحسنك المأجور وادفعيه للانتقام الكبير

⁵ أبو القاسم. محمد كزو. كفاح الشابي. الشعب والوطنية في شعره. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ط 4. دمشق. ص 102.

⁶ انظر: ماتيسن. أ. ف. ت. س إليوت الشاعر الناقد. ترجمة إحسان عباس. المكتبة العصرية. بيروت. 1965، ص 131.

⁷ موريتي، فرانكو. من الأرض اليباب إلى الفردوس الاصطناعي، ترجمة. ثايرديب، مجلة الآداب الأجنبية، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع 129، 2009، ص 52.

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

إنّ في الحسن يا دليّة أفعى كم سمعنا فحيحها في سرير

أسكرت خدعة الجمال هرقلاً قبل شمشون بالهوى الشرير

والبصير البصير يخدعه الحسن وينقاد كالضربير الضربير⁸

على هذا النحو يستلهم أبو شبكة التراث الديني والأسطوريّ لبني صوره، فالنصّ يتأسس على قصّة شمشون ودليّة التوراثيّة، وعلى أسطورة هرقل وزوجته ديانيرا التي تسببت بموت زوجها حينما أرسلت إليه قميصاً مسموماً بعد أن خدعها أحد المخلوقات الأسطورية، وأوهما أنّ القميص سيضمن لها بقاء هرقل وقيّا لحبها، مخلصاً لها وحدها دون النساء.⁹ لكنّ الشاعر لا يكتفي بنقل النصوص الأسطورية والقصص الدينية على نحو حرفي، بل يستثمرها لخدمة رؤاه. فدليّة توهم بالجمال واللذة الدائمة، لكنّها في الحقيقة تتكشف عن الموت. وهنا يتبدّى صراع أبي شبكة الدائم ما بين البحث عن اللذة والشعور بالخطيئة. وتتبدى حتمية فاجعة شمشون في إدراكه للخطيئة وعجزه عن تداركها، فاللذة أشهى من أن يقاومها بوعيه، فينساق وراءها دوماً، وهذه الرؤية تبدو حاضرة دوماً في أعمال أبي شبكة: الوعي التام بالخطيئة والعجز عن الخروج من أسرها. وإذا كان ما فعلته ديانيرا مختلفاً من حيث دوافعه عما فعلته دليّة، فإن النتيجة في الأسطورتين واحدة. وهما تبلوران معاً تصوّر أبي شبكة عن الشهوة التي تقود إلى طريق الخطيئة.

ويمكن الإشارة إلى أنّ ذروة الإحساس بأهمية الأسطورة وتوظيفها في الشعر العربي بدأت تترسّخ عند شعراء الجيل التالي كالسياب، والبياتي، وخليل حاوي، ومحمود درويش، وغيرهم. حيث استطاع هؤلاء الشعراء أن ينقلوا توظيف الأسطورة إلى مرحلة جديدة، صار فيها الرمز الأسطوري متماهاً مع النصّ الشعري على نحو يخدم رؤى الشاعر في شكل درامي ناضج فنياً. وبلغ اهتمام هؤلاء الشعراء بالأسطورة، لا سيّما أسطورة "تمّوز" بتنوّعاتها المختلفة حدّاً جعل جبرا إبراهيم جبرا يطلق على عدد من شعراء هذا الجيل تسمية الشعراء التمزويين؛¹⁰ نظراً لاستلهاهم هذه الأسطورة والاتّكاء عليها في كثير من نصوصهم.¹¹ ولعل دوافع هؤلاء الشعراء إلى توظيف أسطورة تمّوز تحديداً كان

⁸ أبو شبكة، إلياس. الأعمال الشعرية الكاملة، دار رواد النهضة، بيروت، 1988، ص 295.

⁹ تنظر الأسطورة في : خشبة، دريني. أساطير الحب والجمال عند اليونان، دار أبعاد للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983، ج2، ص 40-41.

¹⁰ من المعروف أنّ كتاب الغصن الذهبي لجيمس فريزر قد لعب دوراً هاماً في الترويج للنزعة الأسطورية التي ميّزت الشعر الحديث، ليس عند إليوت والشعراء في الغرب فحسب، بل في العالم العربي حيث ظهرت مجموعة الشعراء الذين لقبوا بـ " الشعراء التمزويين " بسبب توظيفهم لمجموعة من الأساطير في أشعارهم. وعلى رأسها أسطورة تمّوز التي تعرفوا عليها بتفاصيلها وتنوّعاتها حينما ترجم جبرا إبراهيم جبرا كتاب الغصن الذهبي لجيمس فريزر.

¹¹ ينظر: جبرا، إبراهيم جبرا. "أسطورة الموت والانبعاث" مجلة الشعر، العدد 20، ص 30، 31

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

مدفوعاً برغبة عميقة في إقامة معادل موضوعي للحالة الأسطورية للبطل الذي يغيب في عالم الأموات، في مقابل ما يعاينوه في العالم العربي من موت مجازي كانوا يأملون أن يكون بدء مرحلة نهوض جديدة للأمة.¹² وقد أشار جبرا إبراهيم جبرا - الذي أطلق تسمية الشعراء التمزيين على هؤلاء الشعراء - في مقدمة ترجمته لجزء من كتاب الغصن الذهبي تحت عنوان " أدونيس " سنة 1957: " كان لهذا الجزء . أدونيس . فضلاً عن خطورته الأنثروبولوجية الظاهرة، أثر عميق في الإبداع الأدبي في أوربا في السنين الخمسين الأخيرة بما هيأه للشعراء والكتاب من ثروة رمزية وأسطورية نرجو أن يُقبل عليها أدباؤنا أيضاً لإغناء أدبنا الحديث " ¹³

وقد استجاب العديد من الشعراء لهذه الدعوة، وعلى رأسهم شاعر العراق بدر شاكر السياب الذي أفاد من الأساطير البابلية والفينيقية التي تضمنها الكتاب، وجعلها تؤدي أغراضاً عديدة ودلالات متنوعة داخل قصائده التمزوية، ورأى فيها رموزاً لولادة جديدة لأولئك المعذبين الذين يقارعون الظلم والطغيان، في انتظار ثورة تعيد لهم الأمل والحياة الكريمة.

2- التحليل الفني / قصيدة " الفتى والوحش " أنموذجاً

تنهض قصيدة فهد أبو خضرة * " الفتى والوحش " ، مثلما يوحي عنوانها على ثنائية دلالية، مثلت واحدة من أهمّ الثيمات الأسطورية وأكثرها تجلياً في الأساطير والحكايات الخرافية. إذ يجلي العنوان على نحو واضح استلهاً الشاعر للبطل الأسطوري، بملاسات حضوره وتحليته المتنوعة، في مقابل الوحش الذي مثل وحدة أسطورية طاغية الخضور بتنويعات مختلفة.

وفي هذه القصيدة تظهر رؤية أبي خضرة عن الحرية والحق والعدالة الإنسانية، فيحاول أن يقاربها مستنداً إلى السرد بوصفه أداة تهيء للشاعر جواً درامياً ينقل النص إلى عوالم أسطورية مرتبطة على نحو دلالي عميق بالواقع البشري. وليس ثمة شك في أنّ أبا خضرة لم يكن يريد أن يسرد قصة أسطورية، أو حكاية خرافية، بمقدار ما كان يحاول أن يؤسس لمشهد شعري يستند إلى الأسطورة لينبئ عليها رؤاه وأفكاره عن

¹² حول أسطورة تموز ينظر: إلياد، مرسيا. أسطورة العود الأبدي، ترجمة نهاد خياطة، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987. ص 95 وما بعدها خصوصاً. وتجد فكرة تكرار فعل العودة من الموت، أو تجدد العالم، حضوراً عند مختلف الثقافات الإنسانية، ولعل أبرزها في الشرق أسطورة تموز وعشتار البابلية (دموزي وإنانا في النسخة السومرية) في بلاد الرافدين، وأسطورة أيزيس وأوزيريس في مصر.

¹³ فريزر، جيمس. أدونيس، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، منشورات الصراع الفكري، بيروت 1957، ص6. * فهد أبو خضرة، شاعر فلسطيني ولد سنة 1939 في قرية الرينة في فلسطين المحتلة، حاصل على شهادة الدكتوراة من الجامعة العبرية في القدس سنة 1979 عن أطروحة بعنوان: ابن المعتز - الرجل وإنتاجه الأدبي. صدر له مجموعة من المؤلفات النقدية والمجموعات القصصية ودواوين الشعر، منها على سبيل المثال: - الليل والحدود، مجموعة قصصية 1964. - الزنبق والحروف، شعر 1972. - دراسات في الشعر والعروض، دراسة أدبية 1989.

ينظر: حمد، محمد. الأقصود والرموز الدينية والسياسية في شعر " فهد أبو خضرة " <http://www.qsm.ac.il/arblanguage/docs/enc/enc1/14===.pdf>

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

العالم بكل ما فيه . ولعلّ اللاف في القصيدة هو أنّها لا تحيل إلى أي نصّ أسطوري بشكل مباشر، بل تستغلّ البنية الدرامية للأساطير لتتخذ منه إطاراً ينقل المتلقي إلى أجواء خيالية حاملة. وإذا كان السرد هو ما أتاح للشاعر هذه القدرة على أسطرة الواقع، فإنّ أبا خضرة يعتمد تقنية " الاسترجاع " ليني عالمه الشعري القائم على القصّ، إذ تبدأ القصيدة بمشهد ذلك التمثال الذي يلحّ الشاعر على إبراز صفاته الجمالية، التي تنمّ عن عناية فائقة به، واهتمام بصنعه:

شاعخاً في السّاحة الكُبرى،

أمام النّهر ،

عشرين ذراعاً، مرمراً أبيض،

في يُمناهُ سيفٌ،

وعلى يسراهُ رأسٌ بشري¹⁴

وإذا كان هذا المدخل كفيلاً بإثارة فضول المتلقي لكشف سرّ هذا التمثال، فإنّ النصّ يحيل مباشرة إلى راوٍ يتكفّل بسرد قصّة التمثال العجيبة، مرتداً بالقارئ إلى الزمن الماضي، ليحمله إلى عوالم تتداخل فيها الأسطورة بالواقع. والشاعر لا ينسب رواية الحكاية إلى شخص بعينه، بل يتركها لمجموعة من الرواة، كما لو كانت قادمة من الماضي البعيد، ليحمل النصّ بعداً إنسانياً عاماً، يتجاوز حدود الزمان والمكان.

حدّث الراوون قالوا: إنّ هذا رأسٌ سقّاح أثيم

جارّ في الأرض ولم يبق طريقاً للفساد

لم يسر فيه

تمادى، وتجبرّ

وروى من كلّ ما حرّم الله فؤادا حجريا¹⁵

¹⁴ أبو خضرة، فهد. عائدون إلى الورد، منشورات مجلة مواقف، الناصرة، 2012، ص 33

¹⁵ أبو خضرة، عائدون إلى الورد، ص 33.

على هذا النحو تبدأ ملامح النصّ / الأسطورة تتكشف، فالرأس المحمول جانبا، في اليد اليسرى للفارس الذي يقف تمثالا شامخا، ليست إلا رأس ذلك السقّاح / الوحش، والشاعر يحاول أن يتكئ على السرد السريع للأحداث ليعطي نصّه زحماً خاصاً، فالمقطع الصغير الذي يبدأ للتأسيس للحكاية يتضمّن استخداما سريعا ومكتفيا لأفعال وقعت في الزمن الماضي على يد هذا الوحش " جار في الأرض / تمدى / تجرّ / روى " وكلّ هذه الأفعال جاءت في سياق يشي بدلالات سلبية للتأشير على حجم المآسي التي اقترفها هذا الوحش.

إنّ من الواضح أنّ النصّ السابق، لا يتكئ على ثيمات أسطورية مستمدّة من أسطورة بعينها، غير أنّ البنية التي قامت عليها القصيدة، باتكائها على ثيمتين أسطورتين بدءا من العنوان، تعطي المتلقي انطبعا بهذا الحضور الأسطوري الطاغوي. إذ لعلّ حضور الفتى / البطل ، في مقابل السقّاح / الوحش ، هي من أكثر الثنائيات الدلالية حضورا في الأسطورة بشكل عام.16

غير أنّ التمثال الذي يمثّل فارسا يحمل بيمنه سيفاً، وفي يسراه رأس أحد الوحوش، يحيل على نحو مباشرٍ إلى أسطورة " برشاوس " المسماة في الموروث العربي " حامل رأس الغول " ، فضلا عن أنّ هنالك نقاط اتفاق واضحة بين النصّ الشعري الذي نحن بصدد تحليله، وبين النصّ الأسطوري، فكلّا التّصين يقوم على بنية درامية تصوّر وحشا اعتاد أن يجور ويقتل النّاس الذين لم يجدوا وسيلة لمواجهة؛ فاضطروا لمهادنته ومحاولة استرضائه — كان النّاس قد اعتادوا أن يقدموا القرابين من بناتهم للوحش البحري " قيطس " - وفي النصّ الشعريّ الذي نحن بصددّه بدا واضحا أنّ هنالك محاولات لاسترضاء الوحش، لكن دون أن يحول ذلك من استمراره في ظلمه كما في النصّ الأسطوري تماما:

أرسل القوم له من سادة القوم رسولا

فسقاه المرّ والإذلال حتى مات قهرا

¹⁶ يمكن في هذا الإطار الرجوع إلى عدد كبير من النصوص الأسطورية، ففي الميثولوجيا السومرية يكون غلغامش مضطرا لمواجهة حارس غابة الأرز " خمبابا " ليخلص النّاس منه، ومن ثمّ يواجه الثور المقدّس الذي أرسلته الآلهة ليقضي عليه وعلى صيدقه انكيدو. وفي الأساطير الإغريقية يواجه " أوديب " السيفكس " أو " أبو الهول " ليخلص أهل مدينة طيبة منه، وما أصاب سكان المدينة من مآسٍ بسببه. غير أنّ أكثر الأساطير شهرا مع نصّ القصيدة قد تكون أسطورة " برشاوس " المسماة " حامل رأس الغول "، وهي أسطورة إغريقية تروي حكاية شابّ واجه وحشا بحريا هائلا. كان أهل مملكة الحبشة قد اعتادوا أن يقدموا بناتهم قرابين له؛ ليبعدوا عنهم غضبه، وإذا كان أهل المملكة يستعدون لتقديم " أندروميديا " ابنة الملك قربانا للوحش، يأتي " برشاوس " ليخبر أهل المملكة أنه قادمٌ ليخلصهم من ذلك الوحش، حيث ينجح الفتى في ذلك، وفي طريقه لقتل الوحش، واجه برشاوس عددا من الوحوش الذي اعترضوا طريقه، إلى أن عاد لسكان المملكة حاملا رأس الوحش بيده. وقد خلّد بطل هذه الأسطورة بكثير من الأعمال الفنية والتماثيل التي تصوّره ممتشقا سيفه بيده اليمنى، حاملا بيده اليسرى رأس " الميدوزا " الكائن الأسطوري الدموي. ينظر مثلا حول هذه الأسطورة:

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

أرسلوا من خيرة الأبناء

وفقدوا بعد وفد

فرماهم بسهام الغلّ والحق

وألقاهم طعاما للضواري¹⁷

إنّ محاولة استرضاء الوحش، واتّقاء شرّه هي ممارسة طقوسية أسطورية، فقد كان البشر يؤمنون أنّ لآلهتهم قوى ترتبط بكلّ مظاهر الطبيعة، لذلك كان من عادتهم أن يتوسلوا إليها ويدعوها لتبعث لهم الخير وتبعد عنهم الشرّ.¹⁸

وإذا كانت أهمّ سمتين في البطل الأسطوريّ هما الجرأة والتمرد، فإنّ الخلاصّ يأتي على يد هذا البطل، ممثلا في شخصية الفتى الذي يتقمّص دوره الأسطوري على نحو يحمل سمات عجائبية توضع علامات استفهام على آليات حضوره وغيباه في النصّ.

وتوالى فيهم الأيّام سوداء حزينة

أزهقت فيها ابتسامات

وشلّت أغنيات

فتداعى القوم للواجب شيئا وشبابا

وإذا في الساحة الكبرى فتى يخطر مثل الرمح، في عينيه نار

من تُرى هذا الفتى الثائر؟

ترعاه السماء!¹⁹

¹⁷ أبو خضرة، عائدون إلى الورد، ص 33-34

John.w.Tigue.teaching methodology as a subtext of the humanities . The journal of Gene val Education. The Pennsylvania state university, vol.41.1992.p 24.

¹⁹ أبو خضرة، عائدون إلى الورد، ص 35-36

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

إنّ النصّ هنا، يقوم، على صوت السارد الذي يوسّع فضاء النصّ الذي يقيم علاقات جديدة بين المدركات على نحو فتح ينقل اللغة إلى أطر بلاغية تنكّي على الاستعارة والجاز والتشبيه، فالأيام تتجسّد سوداء/ حزينة ، لأنّ إدراك الأيام يكون عبر إحساس الناس بما تحمله هذه الأيام من أحداث. وإذا كانت الابتسامات، والأغنيات هي عناصر أساسية تؤثّر على مستوى ما يعيشه الناس من فرح وسعادة، فإنّ هذه الابتسامات قُتلت، وهذه الأغنيات شلّت، في تعبير استعاريّ واضح عن حجم المأساة التي يعيشها الناس جرّاء أفعال ذلك الوحش.

الوحش هنا يصير رمزاً لكلّ الشرور الممكنة في العالم، وصراع الفتى " الثائر " معه هو صراع الخير مع الشرّ، والطهر مع الدنس، فالدلالات التي يحيل إليها الوحش هي دلالات سلبية، مرتبطة بالظلم والموت والفناء. والفتى يحضر مباشرة في النصّ بصفات أسطورية الطابع، كالفارس القادم ليثير التساؤلات عن ماهيّته.

وإذ يحضر هذا الفتى بسماته الأسطورية، ليلعن أنه سيواجه الوحش، ثمّ ينجح في تخليص الناس منه، فإنّه يعود ليختفي على نحو غامضٍ مثلما ظهر، ليرسّخ ذلك التجلّي الأسطوري له. وهو ما يقوّد الناس إلى التعامل معه بشيء من القداسة، وهو ما تجسّده الطقوس التي صار الناس يتعاطون بها مع حادثة انتصار الفتى على الوحش:

يحملون الزهر والشمع إليه كلّ يوم

وإذا ما سئلوا قال: سيأتي

كلما حلّ بهذي الأرض جورٌ أو فساد²⁰

على هذا النحو يعيد أبو خضرة تشكيل أسطوره على نحو فريد، ليخلق عالماً ينجح إلى الخيال للوصول إلى تشكيل عالم خاصٍ من الرمز الأسطوري المستخلص من تجارب إنسانية ضاربة في القدم، فيعيد بناءها لتخدم رؤاه الخاصة المرتبطة بالإنسان وفقاً لحضوره المشدود دوماً إلى قطبين أساسيين في ممارسات الجنس البشري؛ الظلم ممثلاً ظاهرياً بالوحش، ودلالياً على نحو عميق بكلّ ممارسات بشرية تنزع إلى تهميش الآخر وإقصائه، في مقابل الحقّ ممثلاً في النصّ بما فعله ذلك الفارس الذي اختار المواجهة، لا ليبيّن مجداً شخصياً، بل ليؤسس لعالم جديد، وهو ما يحيل إلى كلّ فعل بشري يحاول أن يقف في وجه الظلم والموت، في أي زمان ومكان.

²⁰ أبو خضرة، عائدون إلى الورد، ص 39.

الخاتمة

إنّ الجنوح إلى الخيال، هو الأساس الذي قامت عليه الأساطير، وهو ما اتكأ عليه أبو خضرة للتعبير عن رؤاه وأفكاره، وهو ما يجعل العملية الإبداعية عنده خاضعة دوماً لتجريب مستمر لا يقف عند حدود، الأمر الذي يعني إمكانية خلق النماذج الأدبية الجديدة بصورة لا نهائية، بالاتكاء على الخيال، فالرؤية الأسطورية للوجود تجعل العملية الإبداعية متمردة على الضوابط الموضوعية في كلّ زمان ومكان، وتجعل الذات المبدعة وحدها القادرة على خلق عوالمها الموازية للعالم الواقعي عبر الخيال الذي مثل الطاقة الفاعلة الخلاقة، القادرة على ابتكار الأشكال والمعاني اللانهائية.

. قائمة المراجع:

- بلحاج، كاملي. أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2004.
- جبرا، إبراهيم جبر. رموز الموت والانبعاث في قصيدة "البئر المهجورة" للشاعر يوسف الخال، مجلة شعر، العدد 8،
- حمد، محمد. الأقصودة والرموز الدينية والسياسية في شعر "فهد أبو خضرة" نسخة إلكترونية:
<http://www.qsm.ac.il/arblanguage/docs/enc/enc1/14===.pdf>
- حلاوي، يوسف. الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، دار الآداب، بيروت، 1994.
- خشبة، دريني. أساطير الحبّ والجمال عند اليونان، دار أبعاد للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983.
- أبو خضرة، فهد. عائدون إلى الورد، منشورات مجلة مواقف، الناصرة، 2012.
- الشابي، أبو القاسم. الأعمال الكاملة، ديوان أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984.
- أبو شبكة، إلياس، الأعمال الشعرية الكاملة، دار رواد النهضة، بيروت، 1988.
- الفرفوري، فؤاد. أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، الدار العربية للكتاب، د.ت.
- فريزر، جيمس. أدونيس، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، منشورات الصراع الفكري، بيروت.
- أبو القاسم. محمد كزّو. كفاح الشابي، الشعب والوطنية في شعره. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط 4، دمشق.
- ماتيسن. أ. ف. ت.س إليوت الشاعر الناقد، ترجمة إحسان عباس، المكتبة العصرية، بيروت، 1965،
- مرسيا. أسطورة العود الأبدي، ترجمة نهاد خياطة، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987.

Myth in Modern Arabic Poetry: The Poem "The Boy and the Monster" as a Case Study

- موريّتي، فرانكو. من الأرض اليباب إلى الفردوس الاصطناعي، ترجمة، ثائر ديب، مجلة الآداب الأجنبية، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع 129 ، 2009.